مِرَاس
Meras scientific journal
مجلة علمية محكمة نصف سنوية

١

مجلة مِراس

مجلة
علمية
محكمة
نصف سنوية

مجلة مِراس / السنة الأولى
ربيع الثاني ١٤٤٣هـ / تشرين الثاني ٢٠٢١م

مجلة مِراس 2021
Meras scientific journal

ISSN: 2707-6245

نظرية التطوّر قراءة من منظور قرآني

م. د. تحسين عبد الرحمن كلية العلوم الاسلامية/ جامعة وارث الأنبياء

ملخص البحث

البحث تناول موضوعاً شغل فكر علماء الإسلام بخصوص في القرن العشرين من الميلاد، وهو كون نظرية التطوّر الداروينية تتنافى مع النصوص الدينية وبخاصة القرآن الكريم أم لا تتنافى؟ وفي هذا المجال أوردنا في البداية شرحاً مقتضباً عن نظرية التطوّر والنظرية المضادة لها، وهي نظرية الثبات والقضايا التي تدور حولهما، ثمّ أوردنا كلمات بعض القائلين بكلّ من النظريتين. والمهم من وجهة نظر دينية هو معرفة ما إذا كانت النظرية الداروينية مخالفة للنصوص القرآنية أم غير متنافية معها. فسردنا أدلّة أولئك الذين يرون وجود تناف بين نصوص القرآن والنظرية، كما أوردنا أدلة اولئك الذين يرون نصوص القرآن متوافقة مع النظرية. وأوردنا أيضاً الآيات التي لا يبدو منها تأييد لأي من النظريتين ذات الصلة (التطوّر والثبات). وناقشنا أدلّة الطرفين، وما انتهينا إليه هو رؤية تختلف عن المألوف، وهي كون الدين والكتب السماوية تحمل في طياتها أهدافاً غير الأهداف التي يسعى إليها البشرية والعلماء، وكلّ من علماء الطبيعة والدين يسعون لأهداف مختلفة، فالعلماء يسعون لكشف مجهولات الطبيعة، بينما يسعى الدين للتهذيب وإقرار قوانين تعالج النفوس وتصحّح سيرة البشرية في شؤون منها استخدام العلم بالنحو الصحيح ولا تداخل بين الطرفين، ولا ينبغي لنا أن

نستكشف المجهولات الطبيعية من خلال الكتب السماوية التي تستهدف أموراً غيرها التي يستهدفها العلم، وإلاّ كان عملنا تحميلاً للنصوص الدينية بما لا تحتمله. وما ينبغي القول به في هذا المجال هو أنّ النصوص الدينية ذات الصلة بالموضوع لم تتطرّق للنظريتين أصلاً، وقراءة البعض لها بما ينسجم مع كلّ من النظريتين قراءة مخالفة للهدف الأساس من الدين وبعثة الأنبياء، ولا ينبغي البحث عن مواضيع علمية مثل الفيزياء والكيمياء أو الأحياء وأصولها في القرآن، فذلك ممّا ينبغي أن تبحث عنه عقول البشرية من خلال مناهجهم المختلفة ولا ينبغي البحث عنه في القرآن.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – نظرية– التطوّر – الثبات.

Abstraction

The research dealt with a topic that occupied the thought of Islamic scholars regarding the twentieth century AD, which is whether or not the Darwinian theory of evolution is incompatible with religious texts, especially the Holy Qur'an? In this regard, we initially provided a brief explanation of the theory of evolution and its opposite, which is the theory of stability and the issues that revolve around them. What is important from a religious point of view is to know whether the Darwinian theory is contrary to the Qur'anic texts or not. We have listed the evidence for those who see a contradiction between the texts of the Qur'an and the theory, and we have listed the evidence for those who see the texts of the Qur'an compatible with the theory. We also cited verses that do not seem to support either of the two related theories (evolution and constancy). We discussed the evidence of both parties, and what we ended up with is a vision different from the usual, which is that religion and the heavenly books carry goals other than those sought by humanity and scientists, and both natural and religious scientists seek different goals, scientists seek to reveal the unknowns of nature, while religion seeks to refine and acknowledge Laws that treat souls and correct human history in matters including the use of science in the correct manner and do not overlap between the two parties, and we should not explore the natural unknowns

through the heavenly books that target other matters that are targeted by science, otherwise our work will be downloading religious texts with what they cannot bear. What should be said in this field is that the religious texts related to the topic did not address the two theories at all, and the reading of some of them in a manner consistent with both theories contradicts the basic goal of religion and the mission of the prophets, and it is not necessary to search for scientific topics such as physics, chemistry or biology and its origins in The Qur'an, that is what the minds of mankind should search for through their various methods, and it should not be searched for in the Qur'an.

Key words: The Holy Qur'an - Theory of Evolution - Theory of Constancy .

المقدمة

البحث عن نشأة الانسان أو آدم (ع) في النصوص الدينية ليس بالأمر الحديث، بل من الطبيعي أن يسأل الانسان منذ أن خلق عن نشأته وعن جذوره، أمّا دراسة الموضوع بنحو علمي، فهو أيضاً ليس أمراً مستحدثاً بل الأديان الإلهية من ضمن النصوص القديمة جداً التي تعرّضت لهذا الموضوع، وتحكي بنحو غير مباشر ما كان يشغل ذهن الانسان من مواضيع علمية ودينية منذ آلاف السنين.

من الواضح أنّ الأديان – باعتبارها ولدت ورافقت الانسان بعد خلقه حتّى الآن وسترافقه في المستقبل أيضاً – سعت إلى الإجابة عن هذا السؤال منذ أن تبلور هذا السؤال في ذهن الانسان. لكن أجوبتها كليّة وتعتبر من الناحية العلمية مسلّمة ولم تسعَ للدخول في التفاصيل العلمية، فمثلاً اشارة إلى خلقه من تراب، أو من المني وما شابه.

الأديان التي لا زالت تنبض بالحياة صوّرت للإنسان أنّه مخلوق من انسان اسمه آدم أو من طين أو ما شابه ذلك، مع بيان لبعض مراحل خلق الانسان، ككونه نطفة ثم علقة ثم مراحل أكثر تطوّراً. ولا نعلم ما كانت أجوبة الأديان القديمة التي اندثرت أو بقي منها اسم فقط.

أشارت التوراة إلى خلق آدم فجاء فيها: (خلق الله الرب آدم من تراب الأرض، ونفخ في أنفه نفحة الحياة فأصبح آدم مخلوقاً حيّاً). [١]

كما اشارت إلى خلق حواء على وجه الأرض فجاء فيها: (لم يكن حسناً بقاء آدم وحيداً، عليّ أن أصنع له معاوناً... وقام الإله الرب بوضع نوم عميق على آدم، فنام آدم فأخذ ضلعاً من أضلاعه وملأ مكانه لحماً، وصنع الربّ من الضلع الذي أخذه حواء وجلبها لآدم). [٢]

وقد ورد في القرآن وكذا في الروايات الإسلامية ما ينسجم مع ما ورد في التوراة حول خلق آدم ولا يبعد أن يكون خلق آدم من تراب ومن عناصر الأرض ممّا ذهبت إليه جميع الكتب الإلهية، باعتبار وحدانية مصدرها.

وقد جاء في القرآن الكريم: (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثمّ انّكم بعد ذلك لميتون). [٣]

كما ورد في بعض الروايات ذات المضمون الذي ورد في التوراة عن كيفية ومنشأ خلق حواء[٤] لكن هناك نقاشاً في صحة هذه الروايات وتكذيباً لها، مع وجود روايات مخالفة لها. [٥]

من الواضح أنّ الأجوبة المذكورة عن خلق آدم، رغم كونها قد تعكس الواقع الذي أيدته في بعض الأحيان الأبحاث العلمية، إلاّ أنّه يعكس في الوقت ذاته جواباً مجملاً لتساؤل الانسان، وبخاصة تساؤله في هذا العصر الذي تقدم فيه العلم واكتشف الكثير من الأمور التي كانت مجهولة لدى البشرية مدة آلاف السنوات.

ويبدو أنّ البشرية كانت وما زالت مقتنعة بأجوبة الأديان غالباً، لكن التحوّل الأساسي الذي طرأ في هذا المجال هو طرح نظرية تدّعي أنّ الانسان خلق تدريجياً عبر ملايين السنوات، فقد بدأ خلق الانسان –

كباقي الموجودات الحية – بموجود أحادي الخلية[٦] تطوّر إلى حيوانات بحرية ثم خرج من الماء وتطوّر فيه إلى حيوانات ونباتات ذات أصناف متعددة منها القرد الذي تطوّر الانسان منه إثر طفرة جينية تعرّض لها.

التحدّي في الموضوع

بسبب رسوخ القراءة التقليدية للنصوص الدينية في موضوع خلق آدم فإنّ النظرية المذكورة شكّلت تحدياً للأديان عموماً دون الاختصاص بالإسلام. ويبدو لي أنّ هذا التحدّي ناشيء عن أمرين:

الأول: تصوّرهم أنّ خلق الانسان من خلية وجدت إثر ظروف طبيعية يسلب صفة الخلق عن الله، وهو في النهاية كفر، لا ترتضيه الأديان. هذا مع أنّ القول بنظرية التطوّر والخلق التدريجي لا يتنافى مع خالقية الله، والاعتقاد بها لا يعني نفي الخالقية؛ باعتبار أنّا نسأل من خلق القابلية في الطبيعة لتخلق الخلية المذكور ثم خلق الانسان؟ والجواب في النهاية لا بد أن يعود إلى وجود خالق، وخالقيته لا تعني الخالقية المباشرة، بل تشمل الخالقية من خلال خلق الأسباب الطبيعية، وشأنها في ذلك شأن جميع الظواهر الكونية التي تنشأ عن أسباب أوجدها الله الخالق لها.

الثاني: هو تصوّرهم كون آدم (ع) أبا البشر – كما ورد ذلك في النصوص – يتنافى مع كونه قد خلق تدريجياً ومن موجود أحادي الخلية، ويرفضون بتاتاً كون القرد الأب المتقدّم للبشر، ويعتبرون هذا إهانة للبشرية والقابليات المعنوية التي منحها الله للبشر، مثل خلافته في الأرض وأنّه أحسن ما خلق الله، مع أنّ هذا كله لا يتنافى مع ما تذهب إليه الخطابات الدينية المذكورة؛ باعتبارها تشير إلى الخلق حاضراً ولا تشير إلى ما كان عليه، وقد يكون هذا مثل رفض أن نيوتن أو أياً من كبار العلماء كان أميّا في يوم من الأيام (عهد صغره)، أو رفض أن الانسان – أي انسان كان – قد خلق من سائل منوي يعتبر نجساً من النجاسات التي ينبغي أن يتطهّر منها المؤمن وكثير من المخلوقات التي يبدو أنّ جذورها أمور تبدو قذرة وغير مأنوس بها...

موضوع البحث هو نظرية التطوّر المعروفة باسم دارون أكثر من غيره من العلماء الذين أيّدوها وساهموا في بلورتها، لمعرفة ما إذا كان القرآن مؤيداً أو مخالفاً، من خلال دراسة ذات الصلة لنخرج بنتيجة يبدو أنّها ممّا لم تصدر ممّن كتب في هذا المجال. وقد تكون البحث من أربعة فصول وخاتمة أو استنتاج.

وبرغم أنّ الموضوع تناوله علماء الإسلام خلال العقود السابقة إلاّ أنّه ما زال موضع نقاش ولم يخرجوا برؤية موحّدة في هذا المجال. ومن جهة أخرى، فإنّ البحث مضافاً إلى نقله رؤية أخرى غير المعهود قراءته لدى من كتب في هذا المجال، تضمّن نقل أفكار وآراء بعض علماء الشيعة ممّن كتبوا في هذا المضمار، الأمر الذي غفلت عنه البحوث المنشورة أو تناسوه، فقد لا نشهد الإشارة إلى آرائهم أصلاً. وقد اقتصر الأمر في اكثر الأحيان بذكر آراء علماء الطوائف الأخرى فقط. وما عملناه هنا – من خلال دراسة النصوص ذات الصلة – هو الخروج برؤية أخرى غير تلك التي تؤيد النظرية أو تنفيها.

المبحث الاول: نظرية التطوّر

يستخدم لنظرية التطوّر تسمية أخرى بالعربية وهي: نظرية النشوء والارتقاء، كما يستخدم أكثر من تسمية لها في الانجليزية مثل: Transformism or Darwinism or evolution.

يذهب أتباع هذه النظرية إلى أنّ الانواع الحية من النباتات والحيوانات قد تطوّرت تدريجياً من أصول مشتركة خلال ملايين السنوات التي مرّت عليها. ويرجع أرباب هذه النظرية التطوّر إلى عملية سمّوها بالانتخاب الطبيعي (Natural selection) وقد عرضت هذه النظرية بنحوها المتكامل لأوّل مرة من قبل العالم البريطاني تشارلز دارون (١٨٨٢ – ١٨٠٩) في كتاب سميت نسخته المترجمة إلى العربية (أصل الأنواع) [٧] ولأجل هذا عرفت النظرية باسمه دون غيره ممّن كان له دور في تطويرها. هذا مع أنّ هناك الكثير من النظريات تدخل تحت عنوان (نظرية التطور العام). [٨]

مبادىء نظرية التطوّر

اعتمدت هذه النظرية عدّة مبادىء، هي:

الأول: تقوم الظروف الخارجية – وأحياناً التأثيرات الداخلية – بإجراء تأثير على الكائنات الحية، حيث تؤدّي هذه التأثيرات إلى تغييرات كبيرة أو صغيرة فيها.

الثاني: تلعب هذه التغيّرات بدرجة ما دوراً مفيداً للأحياء بشكل أو آخر.

الثالث: تنتقل التغيّرات الطفيفة عن طريق الوراثة إلى الأجيال والأنسال القادمة.

الرابع: الانتخاب الطبيعي: نتيجة لشحة الغذاء بسبب التزايد السكاني، فإنّ الأحياء تضطر للتصارع فيما بينها. وحياة الأحياء عبارة عن هذا الصراع. والطرف القوي في هذا الصراع هو الذي يبقى ويستمر في الحياة، أمّا الضعفاء والمغلوبون فمصيرهم هو الزوال حتماً. كما أنّ المصائب والبلايا ستبيد الضعفاء وعديمي المقاومة، فلا يبقى على وجه الأرض سوى الأنواع القوية.[٩]

تاريخ نظرية التطوّر

برغم أنّ النظرية معروفة باسم دارون أكثر من غيره لكنّه لم يكن أوّل من قال بها، بل سبقه إليها لامارك. فقد نشر لامارك الفرنسي كتاب (فلسفة علم الحيوان) وشرح فيه نظريته في التطوّر في سنة ميلاد دارون (١٨٠٩م). بل قد تنسب هذه النظرية إلى الكثير من العلماء والفلاسفة ممّن سبقوا دارون من المسلمين وغيرهم.

يقول فتح الله كولن: "هناك في الحقيقة من طرح ادّعاءات مشابهة لهذا قبل دارون، منهم (كانط) و(باكون) و(هيجل) حسب رأي البعض. بل انّ بعضهم أدرج مع الأسف العالم والشاعر المتصوّف (إبراهيم حقي المتوفي عام ١٧٨٠م) ضمن هؤلاء بينما ذكر هذا العالم المتصوّف أنّ الانسان يحتل الذروة بين الأحياء. وهو يعتقد أنّ هناك مراحل تنقية واصطفاء واستحالة بين المخلوقات التي خلقها الله تعالى من العناصر الأربعة (الماء والهواء والنار والتراب)، وأنّ المعادن هي المرحلة الأولى ثمّ تأتي بعدها النباتات ثمّ الحيوانات ثمّ

الانسان، وأنّ هناك بين كل مرحلتين مرحلة وسطى، وأنّ المرحلة الوسطى بين الانسان والحيوان هي القرود التي هي أكثر الحيوانات قرباً شبها بالانسان".

وفي الطبعة القديمة من كتابه (معرفت نامه) ص ١٩ يتكلم عن مثل هذه المراحل التكاملية، ولكنّه بعد صفحتين يدخل في موضوع الخلق المباشر مستنداً إلى المعاني الظاهرة في هذا الخصوص والواردة في الآيات القرآنية وفي الأحاديث الشريفة وليس إلى أي نظرية أو أي ادعاء آخر، فيقول: "انّ الله جلّ جلاله انتقى آدم من الطين اللازب للأرض وهيّأه – أي عمل خليطاً[١٠] ومعجوناً من حساء بروتيني – ثمّ خلق الانسان منه".[١١]

الموقع العلمي لنظرية التطوّر

القوانين العلمية تمرّ بثلاث مراحل، هي: الفرضية (hypothesis) ثمّ النظرية (theory) ثمّ القانون (law) والاختلاف بين هذه المراحل في نسبة احتمال الصدق التي تعكسه، فالقانون يعكس احتمال الصدق بدرجة مئة بالمئة أو أقل بقليل، والنظرية تعكس احتمالاً قوياً قد يبلغ التسعين بالمئة، بينما الفرضية تعكس احتمالاً ضعيفاً قد لا يبلغ الخمسين.

والرؤية موضع البحث تحظى بموقع النظرية في علم الأحياء، ورغم البحوث الكثيرة التي قامت بها مجاميع علمية لم تبلغ مستوى القانون بعد، ولذلك من المحتمل أن يحكم العلم ببطلانها يوماً ما، كما أنّه من المحتمل أن يؤيدها ويدعمها بشواهد كثيرة تجعل منها قانوناً.

وما زال هناك من لا يؤمن بها، ويذكر شواهد احفورية على ثبات الأنواع منذ أزمان قديمة جداً، وقد دون محمد رضا علوي سرشكي كتاباً ذكر فيه الكثير من الشواهد في كتابه (تكامل يا تناقض) بالفارسية.

من جانب آخر، لا يمكن رفض هذه النظرية من وجهة نظر عقلية وفلسفية، فانّ العقل والفلسفة لا يرفضان هذه النظرية، ولا يعدانها من المحالات. وفي هذا المجال

يقول السيد مصطفى الخميني: "... وممّا ذكرنا تبيّن أن ابطال هذه النظرية المسماة بنظرية النشوء والارتقاء ممّا لا يكاد يمكن بالبراهين الفلسفية، كما لا يمكن اثباتها بها. وتوهم أنّ تبدل الأنواع غير ممكن من الأباطيل... ".[١٢]

المبحث الثاني
الآيات التي يبدو منها خلق الانسان تدريجياً أو نظرية التطوّر

هناك بعض الآيات يمكن أن يستدل بها على كون خلق الانسان كان تدريجياً، وأنّ الانسان لم يخلق دفعة واحدة، وهو ما يذهب إليه أتباع نظرية التطوّر، وفي هذا المجال توجد عدّة ملاحظات:

الأولى: انّ دلالة هذه الآيات على النظرية المذكورة ليست دلالة قطعية ونصية بل دلالة ظاهرية، أي يبدو من ظاهرها الدلالة على المطلوب، ولذلك نجد أحياناً جدلاً واضحاً في آية واحدة، بعض يعدها دليلاً على نظرية التطوّر، وآخر يعدّها دليلاً على نظرية ثبات الأنواع.

الثانية: قد تذكر هنا بعض الآيات التي ربما لا يكون هناك من استدلّ بها على نظرية التطوّر، ولهذا يكون هذا البحث في دلالته – ولو جزئياً – افتراضياً من حيث انّ بعض هذه الآيات تحتمل المعنى المطلوب، وربما لا يكون قائل بما يبدو منها.

والآيات هي:

١ – الآيات التي تفرض خلق كلّ شيء من الماء، وهي:

- (وجعلنا من الماء كلّ شيء حي).[١٣]
- (والله خلق كلّ دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء).[١٤]

والاستدلال بهذه الآيات على النظرية المذكورة باعتبار إشارة النظرية إلى أنّ منشأ الخلق هو الماء، ومنه نشأت الحياة من خلال موجود أحادي الخلية، كما أنّ هذا الاستنطاق مبني على تفسير الماء هنا بالسائل

المتكوّن من الهيدروجين والأوكسجين لا النطفة، كما هو مذهب الكثير من المفسرين[١٥]. لكن ذكرت تفاسير أخرى كذلك[١٦]. وكلّ التفاسير التي ورد ذكرها لهذه الآيات تتناسب أو تنسجم مع نظرية التطوّر إلاّ التفسير الذي يفسر الماء بماء الذكر الذي يذهب إليه بعض المفسرين.[١٧]

لكن يبقى شيء هنا، وهو أنّه حتّى على فرض تفسير الماء هنا بالماء المتعارف قد لا تكن الآية دالة على نظرية التطوّر؛ وذلك لوجود عدة فروض في هذا المجال، وتحديد الفرض المنسجم مع فروض نظرية التطوّر أمر صعب. فانّ الخلق من الماء قد يكون اشارة إلى أنّ الماء من العناصر المكونة لخلق الانسان وكلّ موجود حي، فانّ الموجود الحي لا يمكن أن يتكون دون ماء وإيجاد حساء من عدة عناصر، منها الماء. وهذا التفسير ينسجم مع الخلق بالنحو الوارد في النظرية كما ينسجم مع الخلق المتعارف لدينا الذي يحصل إثر لقاح الاسبرم مع البويضة.

وهذا ممّا يجعل الاستدلال بهذه الآية على المطلوب موضع ترديد.

٢- الآيات التي تشير إلى مراحل خلق الانسان من أنّها ثلاث أو أكثر

نماذج هذه الآيات هي:

(لقد خلقناكم ثمّ صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم).[١٨]

(اني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين).[١٩]

وفي هذا المجال يرى آية الله المشكيني أنّ هناك ثلاث مراحل لخلق الانسان يمكن استفادتها من الآيات، هي:

الأولى: مرحلة تكوّن الانسان من الماء والتراب، وهي مرحلة تلحق الخلق وتسبق صيرورته انساناً كاملاً.

الثانية: المرحلة التي تلحق صيرورته انساناً وقبل اصطفاء آدم منهم.

الثالثة: مرحلة اصطفاء آدم وأمر الملائكة بالسجود إليه.[٢٠]

وتوضيحاً لكيفية الاستدلال بالآية ٧١ من سورة ص يرى أنّ المراد من (بشر) نوع

البشر لا فرداً خاصاً، والمراد من (سويناه) هو وضع الانسان في طريق التكامل والتطوّر لكي يصبح انساناً كاملاً ومؤهلاً لنفخ الروح فيه. [٢١]

لكنّ آية الله مكارم الشيرازي لا يرى امكانية في الاستدلال بهذه الآية على نظرية التطوّر، بل يعدها دليلاً على نظرية ثبات الأنواع؛ لأنّ المراد من البشر هنا هو آدم بشخصه، ويستدل بظاهر الآية وتوالي الخلق والتسوية والنفخ فيها على أنّه لم يكن هناك حالة ارتقاء وتطوّر للبشرية، وأنّ الانسان منذ أن خلق ولحد الآن لم يتغير. وفي مجال الاستدلال بالآية على نظرية التطوّر بدليل (ثم) يذهب إلى أنّها استخدمت للفواصل والفترات القليلة كما استخدمت للفواصل والفترات الطويلة، وهي لا تدل على وجود فاصل بملايين السنين، وقد وردت هذه المفردة في الآية ٥ من سورة الحج للدلالة على الفترات القصيرة. [٢٢]

ويستغرب الدكتور رضائي من استفادة الشيخ المشكيني المراحل الثلاث من الآية الكريمة، ويقول: لا إشارة في الآية على المرحلة الثالثة (انتخاب آدم من بين البشر) ومجرد أمر الملائكة بالسجود لآدم لا يدل عليها. [٢٣]

٣ – الآيات التي تشير إلى خلق الانسان من المواد الخام مثل التراب

وهي طوائف نوردها:

الطائفة الأولى: الآيات التي تذهب إلى خلق الانسان من تراب، مثل:

(هو الذي خلقكم من طين ثمّ قضى أجلاً وأجل مسمّى عنده). [٢٤]

الطائفة الثانية: الآيات التي تذهب إلى خلق الانسان من ماء، مثل:

(وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً). [٢٥]

(بدء خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين). [٢٦]

الطائفة الثالثة: الآيات التي تذهب إلى خلق الانسان من نطفة، مثل:

(انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه). [٢٧]

بالنسبة إلى الآيات التي تشير إلى خلق الانسان من طين أو ماء يرى آية الله الشيخ

المشكيني أنّها تشير إلى وضع الانسان قبل إكمال خلقه كإنسان، وتريد الإشارة إلى نوع الانسان لا إلى فرد خاص؛ لأنّ هذا هو شأن الانسان الأولي، وليس كل انسان مخلوقاً من طين. [٢٨] وفيما يخص الآيات التي تشير إلى خلق الانسان من نطفة يذهب إلى أنّ النطفة هنا هي الماء أو السائل الممزوج من عدة عناصر تكوّن منها الانسان الأولي، وهي نفس المراد من (حمأ مسنون) الذي ورد في بعض الآيات. [٢٩]

وبالنسبة إلى الآيات ٨ – ٩ من سورة السجدة ذهب البعض إلى أنّ هذه الآيات صريحة في كون الانسان مخلوقاً من سلالة كانت بمثابة المقدمة لظهور نوع جديد يدعى انساناً. [٣٠]

يرد الدكتور رضائي هذه الاستنطاقات من القرآن ويذكر الأمور الآتية كمؤشرات تبعث إلى الترديد في الاستدلال المذكور:

١ – خلق جميع البشر من نطفة، يتكوّن موادها الأولية من الأغذية التي نتجت في النهاية من التراب والطين. [٣١]

٢ – آدم هو الوحيد من البشر الذي خلق من الطين والتراب، أمّا باقي البشر فقد خلقوا من نطف، ولذلك يمكن القول بأنّ بني آدم خلقوا من التراب بنحو غير مباشر.

وبناء على هذا يستنتج أنّه لا يمكن القطع بأنّ آيات الخلق من تراب تشير إلى مرحلة من تكامل البشر وتطوّره من التراب والطين. كما أنّ الأجل الذي ورد في الآية ٢ من سورة الأنعام يشير إلى معنى الموت الطبيعي، كما هو المستفاد من خلال ما ورد من روايات أهل البيت (ع) [٣٢]، لا أنّه يشير إلى مرحلة أخرى من مراحل تكامل البشر. [٣٣]

وفي ردّ استنطاق الدكتور مصطفى محمود من آيات سورة السجدة نقول: لا دليل على المعنى المذكور، ولم نجد من يؤيده من اللغويين. وقد ورد ما يأتي في (مختصر البيان) الذي عمد على جمع الآراء في مثل هذه المفردات: "السلالة: التي تسل من كلّ تربة. وقال أبو الهيثم: السلالة ما سلّ من صلب الرجل وترائب المرأة، كما يسل الشيء سلاً. وروي عن عكرمة أنّه قال في

السلالة: إنّه الماء يسل من الظهر سلاً. وقال الأخفش: السلالة الولد، والنطف: السلالة. وقال قتادة: استل آدم من طين فسمي سلالة. وقال الزمخشري: السلالة: الخلاصة؛ لأنّها تسل من بين الكدر".[٣٤]

ويردّ الدكتور رضائي تفسير النطفة بالماء المختلط بعناصر تكوّن منها الانسان، ويقول:

"ورد أحد عشر تفسيراً ورأياً في الآية ٢ من سورة الدهر، أهمها:

١ – اختلاط نطفة المرأة والرجل.

٢ – القابليات الذاتية والعوامل الوراثية.

٣ –اختلاط المواد التي تتركب منها النطفة.

٤ – الموارد السابقة جميعها.

٥ – تحوّلات النطفة في المرحلة الجنينية.

لكنّا لم نعثر على من فسر النطفة بالماء، مع أنّ مفردة (أمشاج) [٣٥] قرينة على أنّ المراد ليس الماء الذي يتكوّن من الأوكسجين والهيدروجين".[٣٦]

وفي هذا المضمار ينقل العلامة البلاغي عن البعض الذي لم يحدده القول بأنّ الآية: (خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثم من علقة ثمّ من مضغة مخلقة وغير مخلقة) [٣٧] تدلّ على نظرية التطوّر الداروينية لكنّه يرفض ذلك ولا يرى أي ربط بين النظرية والآية الكريمة، دون مزيد شرح.[٣٨]

وعلى فرض الاستدلال بها فسيكون شأنها شأن الآيات المشابهة التي دلت على خلق الانسان من تراب.

٤ – الآيات التي تشير إلى المراحل الثانوية بعد خلق آدم

وهي مثل الآية: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه...).[٣٩]

يقول آية الله المشكيني في هذه الآية: يظهر من هذه الآية أنّ البشرية قبل بعثة الأنبياء قد مرت بعهد كانت أمة واحدة. وقد فسر مفهوم الأمة الواحدة في الآية – وفقاً لما ورد عن بعض المفسرين والأخبار والروايات – وهو أنّهم كانوا دون دين وشريعة إليهية، وكانوا يعتمدون العقل وقناعاتهم الشخصية في الحياة. وهذا ينطبق

مع ما نذهب إليه من وجود مرحلة ثانية للتطوّر.

والرواية التالية من الروايات الواردة في هذا المجال:

عن يعقوب بن شعيب، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله: (كان الناس أمة واحدة) قال: "كان هذا قبل نوح أمة واحدة، فبدا لله فأرسل الرسل قبل نوح". قلت: أعلى هدى كانوا أم على ضلالة؟ قال: "بل كانوا ضلالاً كانوا لا مؤمنين، ولا كافرين، ولا مشركين".[٤٠]

ثمّ يفسر المشكيني مفردة الاختلاف الأولى بالاختلافات المادية والدنيوية والتناقضات الطبقية قبل البعثة، ويفسر مفردة الاختلاف الثانية بالاختلافات الدينية والعقائدية بعد بعثة الأنبياء.[٤١]

وفي السياق ذاته يذهب آية الله مكارم الشيرازي إلى وجود سبعة مراحل مرت بها الحياة البشرية، هي:

المرحلة الأولى: حياة الانسان الابتدائية التي لم يألف فيها الانسان الحياة الاجتماعية، ولم تبرز التناقضات فيها، وكان الانسان يعبد الله في هذه المرحلة بناء على نداء الفطرة، ومن المحتمل أن تكون بين آدم ونوح عليهما السلام.

المرحلة الثانية: اتخذت حياة الانسان في هذه المرحلة طابعاً اجتماعياً.

المرحلة الثالثة: مرحلة حصول التناقضات والاصطدامات بين أفراد المجتمع، بسبب الاختلافات في مجمل القضايا المادية والمعنوية والعقائدية، ممّا وفرت الأرضية لسنّ القوانين وبعثة الأنبياء.

المرحلة الرابعة: وهي المرحلة التي تتميز ببعثة الأنبياء، وفيها أصبح للبشرية قوانين وشرائع ينظمون حياتهم وفقها ويحلون بها المشاكل الناشئة عن الاختلافات والتناقضات.

المرحلة الخامسة: مرحلة التمسك بتعاليم الأنبياء لغرض حل مشاكلهم ونزاعاتهم العقدية والفكرية والاجتماعية.

المرحلة السادسة: مرحلة دخول وساوس شيطانية إلى أتباع الأديان، ما

جعلهم يفسرون الأوامر الإلهية حسب الأذواق والمصالح الشخصية والجماعية، فبرزت خلافات ونقاشات من نوع جديد.

المرحلة السابعة: انقسام البشرية إلى مؤمنين منتهجين طريق الحق، وإلى غير مؤمنين ينتهجون طريق الضلالة.

ثمّ يستنتج آية الله مكارن أنّ بداية الدين الحقيقي لم تكن ببداية حياة البشرية بل ببداية الحياة الاجتماعية للبشرية، ولا يستبعد أن يكون نوح (ع) هو أول أنبياء أولو العزم.[٤٢]

يعلّق الدكتور رضائي عمّا ورد عن العلمين بقوله:

"هناك قراءتان للآية:

ألف – حياة الانسان مرت بمرحلتين، أولهما: ظهوره على وجه الأرض، وثانيهما بعثة آدم، وبداية الحياة الدينية للبشرية. وهذا التفسير ينسجم مع نظرية داروين.

باء – كانت بعثة الأنبياء في مرحلتين:

الأولى: بعد خلق آدم، حيث انتشر نسله، وكان الأنبياء دون كتاب وشريعة، وكانت تعاليمهم ابتدائية وفردية.

الثانية: حيث ابتدأت الحياة الاجتماعية، واحتاج البشر إثرها إلى قوانين وشرائع، فبعث أنبياء مثل النبي نوح (ع).

بناء على القراءة الثانية للآية، تكون الآية منسجمة مع نظرية ثبات الأنواع. وقد تبنّى الشيخ المشكيني القراءة الأولى، والمستفاد من كلمات الاستاذ مكارم كونه يتبنّى القراءة الثانية. وعليه لا يمكن القطع بترجيح إحدى القرائتين، وفي النهاية النظريتين من الآية".[٤٣]

٥ – الآيات التي أشارت إلى اصطفاء آدم

(انّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)[٤٤]

وفي هذا المضمار يذهب الدكتور يد الله سحابي إلى أنّ هذه الآية وكذلك الآية ٣٣ من آل عمران، و١١ من الأعراف و٧ – ٨ من السجدة صريحة في أنّ آدم لم يكن أول انسان، ولا أساس للقول بانّ البشر جميعهم من آدم، وفقاً للآيات القرآنية.[٤٥]

وفي السياق ذاته يقول آية الله مكارم الشيرازي:

"يستدل بعض الكتاب المحدثين بهذه الآية على نظرية النشوء والارتقاء، معتقدين أنّ الآية تدل على أنّ آدم لم يكن هو الانسان الأول، بل كان هناك اناس كثيرون فاصطفى الله من بينهم آدم الذي خلف نسلاً متميزاً من أبنائه، وأنّ تعبير على العالمين دليل عى ذلك.

يقول هؤلاء: كان في عصر آدم مجتمع انساني، ولذلك فليس ثمة ما يمنع من أن يكون الانسان الأول، الذي وجد قبل ذلك بملايين السنين، قد نشأ وتطوّر من حيوانات أخرى متطورة، ويكون آدم وحده الذي اصطفاه الله.

لكن في مقابل هذا الرأي يمكن القول ان ليس هناك أي دليل على أن (عالمين) هم أناس عاصروا آدم، بل قد يكون القصد هو مجموع المجتمعات البشرية على امتداد التاريخ. وعلى هذا يكون معنى الآية: انّ الله اصطفى من بين جميع المجتمعات البشرية على امتداد التاريخ أفراداً كان أولهم آدم، فنوحاً، فآل إبراهيم، فآل عمران. وبما أنّ كلّ واحد من هؤلاء كان يعيش في عصر غير عصر الآخر نفهم من ذلك أنّ القصد من عالمين هو البشر عموماً على اختلاف عصورهم وأزمانهم. لذلك ليس ثمة ما يدعونا إلى الاعتقاد بأنّ آدم كان يعاصره أناس آخرون فاصطفاه الله من بينهم، فتأمل".[٤٦]

ويذهب الشيخ مصباح يزدي الى أنّ المراد من اصطفاء آدم هو اصطفاءه بالنسبة إلى من لحقه من البشر، وإذا تنزّلنا عن هذا فنقول: إنّ معاصريه هم أبناؤه.[٤٧]

وشأن هذه الآية شأن سابقتها في احتمالها لكلا القراءتين، ولا دليل لدينا على ترجيح أحدهما على الآخر.

٦ – الآية الأولى من سورة الدهر

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً).[٤٨]

يقول فتح الله كولن: "وقد زعم بعضهم أنّ الآية الأولى من سورة الدهر تشير إلى التطوّر، بينما تشكل هذه الآية دليلاً معاكساً للتطوّر؛ لأنّها تشير إلى أن وقتاً

طويلاً قد مرّ دون أن يكون هناك أي إنسان. وقد فهم بعض من أحسوا بهزة أمام الدعاية التطورية القوية من هذه الآية بأنّه كان هناك أثر ضئيل للإنسان في العهود السابقة السحيقة، ولكنه لم يكن بعد إنساناً متكاملاً. وحتى لو كان هذا هو المعنى فهذا يشير إلى أنّ الانسان كان موجوداً في العلم الإلهي وفي خطة القدر، ولا علاقة لمثل هذا الوجود بالوجود البيولوجي. وإذا نظرنا إلى الموضوع من زاوية أخرى وقلنا بأنّ الإنسان هو نواة الكون، فهذا أمر يرجع إلى ماهية الإنسان. ثمّ انّ النواة قبل الوجود وقبل شجرة الوجود. وهذا ينقض التطوّر من اساسه".[٤٩]

وإذا غضضنا النظر عن الجانب القرآني للموضوع فإنّ هناك روايات يبدو منها تأييدها لأصل حصول التطوّر في الخلق وأنّ البشرية تحمل خصائص جينية تختلف عن الخصائص الجينية التي تحملها حالياً، وهي مثل طائفة من الروايات التي تقول بأنّ آدم كان أطول ممّا عليه بني البشر حالياً.[٥٠] أو أنّ بنت آدم كانت ضخمة جداً بمستوى حيوانات مفترسة ضخمة.[٥١] أو أنّ عمر بعض الأنبياء بلغ الألف عام أو ما شابه ذلك. وهي كثيرة تحكي حصول تطوّرات جينية للبشرية منذ آدم وحتى يومنا هذا. إلاّ أنّ هذا يحتاج إلى دراسة سندية وتأييد صدور لهذه الروايات وليست كونها من قصص القصاصين، ومن ناحية أخرى هناك حاجة ملحة لدراستها من حيث الدراية وانسجامها معها الثابت من العلم، ولا يمكن قبولها بمجرد ظاهرها.

المبحث الثالث
الآيات التي يبدو منها خلق الانسان دفعة واحدة أو ثبات الأنواع

هناك طوائف من الآيات اعتبرت دليلاً على رفض وبطلان نظرية التطوّر، وفي ذات الوقت دليلاً على صحة نظرية ثبات الأنواع من وجهة نظر قرآنية، وهي:

الأولى: الآيات التي تقول بأنّ الانسان عموماً خلق من نفس واحدة، مثل: (يا أيّها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس

واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً). [٥٢]

وذات المضمون حملته الآية ٩٨ من سورة الأنعام، و١٨٩ من سورة الأعراف و٦ من سورة زمر. ويدخل في هذا الاطار أيضاً الآيات التي خاطبت البشرية ببني آدم، مثل الآيات ٢٧ – ٣٥ من سورة الأعراف، والآية ٦٠ من سورة يس، والآية ٧٠ من سورة الاسراء. فانّ خطابهم ببني آدم يعني رجوعهم إليه وخلقهم منه، ما يعني عود البشرية إلى نفس واحدة.

اعتبر العلامة الطباطبائي هذه الآية دليلاً على كون الانسان خلق كنوع مستقل دون أن يكون منشؤه نوعاً آخر، ويقول: "الآيات السابقة تكفي مؤنة هذا البحث، فانّها تنهي هذا النسل الجاري بالنطفة إلى آدم وزوجته وتبيّن أنّهما خلقا من تراب، فالانسانية تنتهي إليهما، وهما لا يتصلان بآخر يماثلهما أو يجانسهما، وانّما حدثا حدوثاً". [٥٣]

وبعد إشارة مختصرة إلى نظرية تطوّر الأنواع يقول: "واستقصاء هذا البحث من غير هذا الموضع، وانّما المقصود الاشارة إلى أنّه فرض افترضوه لتوجيه ما يرتبط به من المسائل من غير أن يقوم عليه دليل قاطع، فالحقيقة التي يشير إليها القرآن الكريم من كون الانسان نوعاً مفصولاً عن سائر الأنواع غير معارض بشيء علمي". [٥٤]

الثانية: الآيات التي تقول بخلق الانسان من تراب، مثل قوله تعالى: (انّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون) [٥٥] وقوله تعالى: (خلق الانسان من صلصال كالفخار) [٥٦] فظاهرها أنّ الانسان خلق دفعة واحدة من تراب، ولا يبدو منها الخلق بنحو تدريجي وتطوّري بدء من موجود أحادي الخلية ثمّ حيوانات ثمّ انسان ذكي.

مضافاً إلى هذا فإنّ الكثير من الآيات التي استدلّ بها على نظرية التطوّر استدل بها البعض على النظرية المعاكسة، أي ثبات الأنواع، مثل الآية الأولى من سورة الدهر،

فالبعض استدلّ بها على التطوّر، والبعض الآخر استدلّ على نظرية الثبات، وقد مضى الحديث عن هذا في الفصل السابق.

يذهب البعض مثل الدكتور عدنان الشريف[٥٧] وأحمد عمر أبو حجر[٥٨] إلى أنّ مثل هذه الآيات تدل على نظرية ثبات الأنواع؛ لأنّها تقول بخلق الانسان من تراب مباشرة لا أنّه متحوّل من موجود حي آخر.

لكنّ جل المفسرين يرونها تذهب إلى معنى آخر، لا ربط له بالنظرية موضع البحث؛ باعتبار أنّ شأن نزولها ونزول الآيات التي سبقتها هو الرد على ما ورد في حوارات مسيحيي نجران، حيث طرحوا في هذه المحاورات قضية إلوهية المسيح بن مريم، فجاءت الآية والآيات المشابهة للردّ على ذلك، وقالت بأنّ شأن عيسى شأن آدم في أنّه خلق من تراب وأنّ له جسماً وروحاً كما لآدم.[٥٩]

وفي السياق ذاته يقول الدكتور رضائي:

ينبغي هنا الالتفات إلى نقطتين:

ألف – تبدو عدة احتمالات في تفسير وجه الشبه بين آدم وعيسى عليهما السلام:

١ – التشبيه من حيث فقدان الأب والأم لآدم وعيسى.

٢ – التشبيه من حيث خلقهما من تراب بالوسائط أي تبديل الأغذية إلى نطفة ثمّ علقة... حتّى يصبح انساناً، وقد تمّ هذا بالنسبة إلى عيسى عن طريق مريم، وبالنسبة إلى آدم عن طريق أناس سبقوه أو القرود من الجيل الذي سبقه.

٣ – التشبيه من حيث نبوتهما.

٤ – التشبيه من حيث علمهما وعقلهما، وما كان لهما من اعجاز في هذا المجال.

٥ – التشبيه من حيث أصل الخلق من التراب، عكس ما عليه المسيحيون، إذ أنّهم لا يرون عيسى مخلوقاً من تراب.

تستفاد وجوه التشبيه في المورد الثالث والرابع من قوله تعالى: (كن...) لكن المستنطق من قوله: (ثمّ قال له كن فيكون) كونه ليس في مقام بيان وجه الشبه بل في مقام بيان المرحلة الثانية من الخلق، وهي مرحلة إيجاد الروح، وهو

أمر حاصل لجميع البشرية، وقد أشارت له الآيات تحت عنوان: (نفخت فيه من روحي).

ومع الأخذ بنظر الاعتبار شأن نزول الآية يبدو أنّ وجه الشبه الأول أقرب إلى المراد من الآية قياساً إلى الوجه الثالث والرابع.

لكنّ الآية صرحت بوجه الشبه الثاني والخامس، فإنّ قوله: (خلقه من تراب) بيان لوجه الشبه بين النبيين، وهو إشارة إلى التراب فقط لا شيء آخر.

من جانب آخر، هناك احتمالان في مجال خلق عيسى من التراب، أحدهما: خلقه من تراب دون واسطة. وثانيهما: الخلق من التراب بواسطة سلسلة محددة.

وهذا الاحتمالان واردان بالنسبة إلى آدم كذلك.

أمّا الخلق من التراب مباشرة فغير صحيح؛ لأنّ عيسى لم يخلق من التراب مباشرة بل بواسطة مريم أو الأغذية انخلقت من التراب. وعليه يبقى وجه التشبيه الثاني (الخلق من التراب بواسطة) هو الوجه المطروح، والآية عندئذ تكون شاهداً على نظرية التطور لإثبات الأنواع. هذا مع أنّ وجه التشبيه الخامس غير بعيد؛ لأنّ مسيحيي نجران كانوا يرفضون خلق عيسى من التراب، وكانوا يعدونه مخلوقاً غير طبيعي، والآية في صدد ردّ هذه الفكرة من الأذهان، وليس بيان الخلق من التراب بواسطة أو دونها. لذلك لا يمكن اعتبارها دليلاً على نظرية التطوّر أو نظرية الثبات.[٦٠]

المبحث الرابع
الآيات التي لا يبدو منها تأييد أيّ من النظريتين

نورد هنا مجموعة من الآيات التي لا يبدو منها تأييد لأي من النظريتين:

١ – (خلق الانسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) [٦١] وبذات المضمون وردت آيات أخرى، مثل الآية ٧٧ من سورة يس، والآية ٦٦ من سورة النجم.

٢ – (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثمّ سواك رجلاً) [٦٢] وبذات المضمون وردت الآية ١١ من سورة فاطر.

٣ – (الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك). [٦٣]

٤ – (خلق الانسان من علق). [٦٤]

استدلّ بهذه الآيات على أنّها تقبل التطبيق على كلا النظريتين (الثبات والارتقاء)، أمّا الأولى فباعتبار أنّ النطفة يمكن أن تكون بمعنى نطفة الذكر، فلا تكون دليلاً على نظرية التطوّر، لكن يحتمل أن تكون بمعنى الماء الذي يشتمل على العناصر المكونة للإنسان الأول، وهي مجموعة من عناصر أولية كوّنت الانسان الابتدائي، وهو ما ذهبت إليه نظرية التطوّر.

وبالنسبة إلى الآية الثانية فمن المحتمل أن تكون اشارة إلى ما استدل به من آيات أشارت إلى خلق الانسان من تراب، ويحتمل أن تكن مشيرة إلى أنّ الانسان كباقي الموجودات الحية خلق بنحو غير مباشر من التراب والعناصر التي يتشكل منها.

وبالنسبة إلى المورد الثالث (آيتان) فمن المحتمل أنهما تشيران – من خلال استخدام الفاء – إلى الفواصل الزمانية لتطوّر الانسان، ويحتمل أنّهما تشيران إلى معنى آخر لا ربط له بهذا المعنى، وهو أنّ الله في مقام بيان شأن ربوبيته وكرمه في الخلق، حيث سوى الانسان بأفضل ما يمكن، ووضع كل عضو بما يناسبه من الموضع، مع رعاية التناسب والتعادل. [٦٥]

وبالنسبة إلى الآية الرابعة فإنّ المراد من العلق هو الطين اللازب أو الدم المنعقد في الرحم، ويختلف انطباق الآية حسب اختلاف تفسيرها، فإذا أريد الطين اللازب فيبدو منها الإشارة إلى نظرية التطوّر، وإذا أريد من العلق الدم المنعقد في الرحم، فلا تشير إلى النظرية المذكورة. [٦٦]

وقد مضى البحث في بعض هذه الطوائف من الآيات وتمّ التشكيك في الدلالة على أي من النظريتين، مضافاً إلى أنّها لو كانت تحمل دلالات ولو احتمالية على الموضوع فدلالاتها خاصة بنظرية التطوّر، كما أنّه لا دلالة لها على نظرية ثبات الأنواع.

وهناك آيات أخرى تدخل في هذه الطائفة من الآيات، مثل يس ٧٧، والنجم

٦٦، وفاطر ١١، وشبهة الاستدلال بها عموماً ينشأ من الاختلاف الوارد في تفسير النطفة والمني والعلقة.

يقول آية الله المشكيني في سبب الاختلاف هنا: "منشأ الاختلاف غالباً كلمة (النطفة) لاستعمالها في الماء وفي مني الرجل والمرأة خاصة، وكلمة (المني) فإنّها بمعنى المقدر، وهي من مني الشيء أي قدره، ويطلق على ماء الرجل والمرأة أيضاً. وكذا (العلقة) فإنّها تستعمل بمعنى الطين التي يعلق أو كلّ شيء يعلق، وبمعنى الدم خاصة".[٦٧]

نتيجة البحث

١ – لاحظنا أنّ نظرية التطوّر لا تتجاوز عن كونها نظرية، ولم تبلغ مستوى القانون والقاعدة المسلمة في العلوم البيولوجية برغم اعتمادها في هذه العلوم، وبرغم كونها تشكّل مستوى احتمالياً لا بأس به.

٢ – لاحظنا الكثير من الآيات في هذا البحث يبدو من بعضها تأييد نظرية التطوّر، كما يبدو من بعضها الآخر مخالفة النظرية، كما كان هناك مجموعة من الآيات لا يبدو منها تأييد أو ردّ لهذه النظرية.

٣ – يبدو لنا أنّ هذه الآيات على العموم ليست واضحة الدلالة على تأييد هذه النظرية أو ردّها بل هي ظاهرة في ذلك وظهورها ممّا يقبل التشكيك، ولا يبعد أنّها لا تكون متناولة لهذا الموضوع أبداً، وهي في حقيقتها تشير إلى أمور كلية لا صلة مباشرة لها بنظرية التطور، أو كانت رداً على ما ورد عن النصارى من أنّ عيسى ليس مخلوقاً كباقي البشر، وليست في صدد بيان القضية العلمية المطروحة في نظرية التطوّر أو ثبات الأنواع.

٤ – لا أحد من الآيات المذكورة تنصّ على الموضوع، وأصحاب الرأيين بنوا رأييهما على ظهورات لا يمكن اعتمادها هنا مع وجود ظهورات معارضة من نفس الكتاب المجيد.

٥ – شأن الروايات في هذا المجال شأن الآيات في أنّها ممّا يمكن استنباط انسجامها

مع نظرية التطوّر أو الثبات، لكنّها ليست مثل آيات القرآن من حيث كونها لم تنل الدراسة الكافية مثلما نالتها الآيات ذات الصلة. بل كل من كتب في هذا المضمار تركها أو تناولها بشكل سطحي ولم يناقشها بالنحو الذي ناقش الآيات. مضافاً إلى حاجتها للدراسة من حيث صحة الصدور.

٦ – إنّ قضية منشأ الانسان ذات أهمية عالية من وجهة نظر علمية ومن نواح عديدة أخرى كذلك لكن ليس من شأن القرآن التعرّض لهذا الموضوع، بل هو أمر موكول إلى علماء البيلوجيا والبشرية التي يمكنها أن تصل إلى نتيجة في هذا المضمار. وليس بالضرورة أن يشير القرآن إلى هكذا مواضيع، ولو كان من شأنه التعرّض لهكذا مواضيع علمية أو كانت هكذا مواضيع تشكّل أحد أهدافه لتعرّض لكثير من المواضيع العلمية ذات الأهمية البالغة التي توصّل إليها البشر وما زال يبحث عنها ويكتشفها، ولكان تعرّضه لها بنحو لا يبعث إلى الإجمال الذي يختلف فيه المفسرون بهذه الدرجة.

ومع غضّ النظر عمّا سبق فإنّ الموضوع علمي بحت، وليس من شأن الدين التدخّل أو إبداء الرأي فيه، ومن المفروض في قوانين الكون الأخذ بما يرد عن العلم والعلماء ذوي الاختصاص، فإنّ اهتمامات الدين غير اهتمامات العلم، فالعلم يسعى لكشف مجهولات الطبيعة، والدين يسعى لتهذيب النفوس والمجتمعات وتربيتها بنحو خاص، بل وتهذيب العلم واستخداماته، وليس من شأنه كشف مجهولات الطبيعة، فإنّ هذا من شأن البشرية، وهي كانت وما زالت تحاول استكشاف كلّ شيء، ولا تداخل بين الإثنين، كما أنّه لا تناقض بينهما، وإذا كان هناك تناقض وتضاد فبين العلم واستنطاقات البشرية من القرآن والكتب السماوية الأخرى.

الهوامش

١. الكتاب المقدس/ التوراة، سفر التكوين ٢: ٧.

٢. المصدر السابق ٢: ١٨ و٢١ – ٢٢.

٣. سورة المؤمنون: ١٥.

٤. راجع: الطوسي، ابو جعفر، تهذيب الأحكام، ج٩، ص ٣٥٥، شرح مسلم، ج١٠، ص ٥٧.

٥. الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٤، ص ١٣٦ و١٤٦.

٦. وهناك نقاش في مبدأ هذه الخلية أيضاً، فقد اختلف العلماء في منشأها، وقد وردت عدّة نظريات في هذا المضمار، فبعض قال بأنّ منشأها تحوّلات طبيعية حدثت في الأرض من قبيل وجود غازات هيدروكاربونية ورعد وبرق ساعد على تركيبها وتحويلها إلى موجود حي، وهناك من ادّعى أنّها قدمت من المريخ ونظريات أخرى، على أنّ الجميع يقر بأنّ حياة هذه الخلية بدأت في الماء، وهو ما أكّدته الآية الكريمة: (وجعلنا من الماء كلّ شيء حي). راجع: عزام، د. علي محفوظ، نظرية التطوّر عند مفكري الاسلام. ص ١٢٨ – ١٣١.

٧. On the origin of species كما ترجم إلى لغات كثيرة أخرى.

٨. عزام، نظرية التطور عند مفكري الإسلام دراسة مقارنة، ص ١٩٢ – ٢٠٦.

٩. الموسوعة العربية العالمية، ج ١٠، ص ٢٢٦، البعلبكي، موسوعة المورد، مادة (تشارلز دارون).

١٠. كولن، حقيقة الخلق ونظرية التطوّر، ص٢٦ –٢٧.

١١. الخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، ج٥، ص٢٤٤.

١٢. سورة الانبياء: ٣٠.

١٣. سورة النور: ٤٥.

١٤. راجع: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ج١٤، ص٢٧٧، مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل، ج١٠، ص١٥٤ – ١٥٥، النسفي، تفسير النسفي، ج٣، ص٧٩.

١٥. رضائي، د. محمد علي، بزوهشى در اعجاز علمي قرآن، ج٢، ص٢٤٨ – ٢٥٤. (بالفارسية) وقد ذكر هناك عدّة تفاسير لهذا الصنف من الآيات.

١٦. انظر: الكوفي، فرات، تفسير فرات، ص٢٩٢، والسمرقندي، أبو الليث، تفسير السمرقندي، ج٢، ص٤٢٥.

١٧. سورة الأعراف: ١١، وبذات المضمون وردت الآيات ٢٨ – ٢٩ من سورة الحدر، والآية ٧١ من سورة ص، والآيات ٨ – ٩ من سورة السجدة.

١٨. سورة الحجر: ٣٠ – ٣١.

١٩. انظر: المشكيني، علي، بحث قصير حول نظرية التطوّر، ص ٢٣ – ٢٤.

٢٠. انظر المصدر السابق، ص ٢٨.

٢١. انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل، ج١١، ص٧٨.

٢٢. رضائي، د. محمد علي، بزوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج٢، ص٢٧٥.

٢٣. سور الأنعام: ٢. وبذات المضمون الآيات ٧١ من سورة ص، و٨ من سورة السجدة، و١٢ من سورة المؤمنون.

٢٤. سورة الفرقان: ٥٤.

٢٥. سورة السجدة: ٨ – ٩.

٢٦. سورة الدهر: ٢.

٢٧. انظر: المشكيني، علي، بحث قصير حول نظرية التطوّر، ص ٢٨ و٢٩.

٢٨. انظر المصدر السابق، ص٣٤.

٢٩. انظر: محمود، د. مصطفى، القرآن محاولة لفهم عصري، ص٦٧ – ٦٨.

٣٠. وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين مثل السيد مصطفى الخميني، انظر: تفسير القرآن الكريم، ج٥، ص٢٤٩.

٣١. مثل: عن حمران قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله (قضى أجلاً وأجل مسمى) قال: فقال: "هما أجلان: أجل موقوف يصنع الله ما يشاء، وأجل محتوم". تفسير العياشي، ج١، ص٣٥٤ – ٣٥٥.

٣٢. انظر: رضائي، د محمد علي، بزوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج٢، ص٢٧٧ – ٢٧٨.

٣٣. البدري، عادل، مختصر البيان في غريب القرآن، ج٢، ص١٠٧.

٣٤. جل اللغويين فسروها بأخلاط الماء للرجل وماء المرأة، وقد ورد الكثير من الأقوال فيها تدور حول هذا المعنى الأصلي، ولا تخرج عن دائرته. انظر: البدري، عادل، مختصر البيان في غريب القرآن، ج٣، ص١١٦.

٣٥. رضائي، د. محمد علي، بزوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج٢، ص٢٨٠.

٣٦. سورة الحج: ٥.

٣٧. البلاغي، محمد جواد، الرحلة المدرسية، ج٣، ص٤١٦.

٣٨. سورة البقرة: ٢١٣، وبذات المضمون الآية ١٩ من سورة يونس.

٣٩. البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج١، ص ٤٥٠ – ٤٥١.

٤٠. انظر: المشكيني، علي، بحث قصير حول نظرية التطوّر، ص٢٥ – ٢٦.

٤١. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل، ج٢، ص ٨٩ – ٩٠.

٤٢. رضائي، محمد علي، بزوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج٢، ص٢٨٢.

٤٣. سورة آل عمران: ٣٣.

٤٤. انظر: سحابي، د. يد الله، خلقت انسان، ص ٩ و٧٠. (بالفارسية)

٤٥. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل، ج٢، ص٤٧٦.

٤٦. انظر: مصباح يزدي، محمد تقي، معارف القرآن، ج٣، ص ٤٢.

٤٧. سورة الانسان: ١.

٤٨. كولن، فتح الله، حقيقة الخلق ونظرية التطوّر، ص ٩٠.

٤٩. انظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٢، ص٤٠.

٥٠. انظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٣٢٧ – ٣٢٨.

٥١. سورة النساء: ١.

٥٢. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٤٨.

٥٣. المصدر السابق، ١٤٩.

٥٤. سورة آل عمران: ٥٩.

٥٥. سورة الرحمن: ١٤.

٥٦. الشريف، د. عدنان، من علوم الأرض القرآنية، ص٢٠٧.

٥٧. أبو حجر، أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٣٨٩ – ٣٩٣.

٥٨. انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ج٣، ص٢١٢ – ٢١٣، أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، ج٣، ص١٢٤٩ – ١٢٥١، مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل، ج٢، ص٥٢٢ – ٥٢٣، الزحيلي، د. هبة، التفسير المنير، ج٣، ص٢٤٥ – ٢٤٨.

٥٩. انظر: رضائي، د. محمد علي، بزوهشي در اعجاز قرآن، ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

٦٠. سورة النحل: ٤.

٦١. سورة الكهف: ٣٧.

٦٢. سورة الانفطار: ٧ – ٨.

٦٣. سورة العلق: ٢١.

٦٤. انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ج٢، ص٢٢٥.

٦٥. انظر: المشكيني، علي، نظرية التطوّر، ص٥٥.

٦٦. المصدر السابق، ص٥٣.

المصادر

القرآن الكريم

الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس.

أبو حجر، د. أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، صيف ٢٠٠١م.

أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة.

البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٥ هـ. ق.

البدري، عادل، مختصر البيان في غريب القرآن، نشر: مؤسسة صاحب الزمان، ط١، محرم ١٤٢١ هـ. ق.

البلاغي، الشيخ محمد جواد، الرحلة المدرسية، نشر: دار الزهراء، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ. ق. ١٩٩٣م.

البعلبكي، منير، موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٠.

الخميني، السيد مصطفى، تفسير القرآن الكريم، مفتاح أحسن الخزائن الإلهية، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط١، ١٤١٨هـ. ق.

رضائي، د. محمد علي، بزوهشي در اعجاز علمي قرآن، جابخانه كوثر، جاب دوم، ١٣٨٦ ش. (بالفارسية)

الزحيلي، د. وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ. ق، ١٩٩١م.

سحابي، د. يد الله، خلقت انسان در بيان قرآن، ناشر: شركت سهامي انتشار، جاب دوم، ١٣٧٥ ش.

سرشكين محمد رضا علوي، تكامل يا تناقض، دفتر انتشارات اسلامي وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم.

السمرقندي، أبو الليث، تفسير السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

الشريف، عدنان، من علوم الأرض القرآنية، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٣، ٢٠٠٠م.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، نشر: جماعة المدرسين في الحوزة بقم.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تهيب الأحكام، حققه وعلق عليه: السيد حسن الكشميري.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٥، ١٣٦٣ش.

الكوفي، فرات، تفسير فرات، تحقيق: محمد كاظم، مؤسسة الطبع التابعة لوزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ط١، ١٤١٠هـ. ق. ١٩٩٠م.

كولن، فتح الله، حقيقة الخلق ونظرية التطوّر، ترجمة: أوزخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، استانبول، تركيا، ط٢، ٢٠٠٦م، ١٤٢٦هـ. ق.

عزام، د. علي محفوظ، نظرية التطور عند مفكري الإسلام دراسة مقارنة، دار الهداية، ط٢، ١٤٠٦ هـ. ق، ١٩٨٦م.

العياشي، محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، كتاب التفسير (تفسير العياشي) وقف على تصحيحه: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية.

محمود، مصطفى، القرآن محاولة لفهم عصري، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

المشكيني، علي، بحث قصير حول نظرية التطوّر من حيث استفادتها من آيات الكتاب الكريم، مطبعة مهر، قم، ١٣٦٧هـ. ق.

المشكيني، عليرضا فيض، تأملي بيرامون مسئلة تكامل از ديدكاه قرآن، ناشر: انتشارات الهادي، جاب اول، ١٣٦٨ش.

المصباح، محمد تقي، معارف القرآن، تعريب: محمد عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ. ق. ١٩٨٩م.

مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، مدرسة الامام علي بن أبي طالب، ١٤٢١م.

الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي.

النووي، شرح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ. ق. ١٩٨٧م